الأعمدة في سوريا 2500-500 ق.م

رهف أحمد قربي [1]

إشراف

أ. د. محمد الشحات شاهين أستاذ حضارة الشرق الأدنى القديم كلية الآداب– جامعة حلوان

أ. د. محسن محمد نجم الدين أستاذ حضارة الشرق الأدنى القديم كلية الآثار– جامعة القاهرة

ملخص:

يتناول هذا البحث بالدراسة أحد أهم العناصر المعمارية ألا وهو العمود الذي استخدام في جميع الحضارات المختلفة، لتدعيم الأسقف أو الجدران أو المداخل، بهدف نقل أحمال العناصر الأفقية إلى القواعد والأساسات التي تنقلها بدورها إلى الأرض. اقتصر استخدام الأعمدة بشكل عام على القصور والمعابد، ولم يستخدم في منازل العامة، كما تنوعت الأماكن التي استخدمت فيها الأعمدة، فتم استخدامها لحمل الشرفات في العديد من القصور، استعملت أيضاً لتدعيم الجدران وحمل الأسقف، وكان الاستخدام الأكبر لها في المداخل بشكل خاص. وقد جمعت الأعمدة في جميع هذه الوحدات المعمارية بين الجانب الوظيفي والجانب الزخرفي. ولكن في بعض المواقع تم استخدام الأعمدة لتؤدي دور زخرفي فقط.

الكلمات الدالة:

الأعمدة، سوريا، العمارة، الدعامات.

(1) طالبة دكتوراه بقسم الآثار، كلية الآداب، جامعة حلوان.

(ISSN: 2536 - 9555)

Columns in Syria 2500-500 B.C

Abstract:

This research studies one of the most important architectural elements, which is the column that was used in all different civilizations to support the roofs, walls, or entrances, in order to transfer the loads of the horizontal elements to the bases and foundations that in turn transport them to the ground. The use of columns in general was limited to palaces and temples, and was not used in public homes, as the places in which the columns were used varied, so they were used to hold balconies in many palaces, also used to support the walls and to carry roofs, and the greatest use was in them in the entrances in particular. The columns in all these architectural units combined the functional and the decorative side. However, in some locations, columns were used only to play a decorative role.

Key words:

columns, Syria, architecture, pillars.

مقدمة:

يرد اسم العمود في العديد من لغات الشرق الأدنى القديم، فيرد في اللغة السومرية بصيغة ki–in–dar[2]، وفي الأكادية بصيغة emēdu بمعنى يتكئ على،[3] وفي الآرامية (Emmuda).[4]

(2)Münchner, L., Sumerischer Zettelkasten, 2006, p. 347.

(3)Black, J., George, A. &Postgate, N., A concise Dictionary of Akkadian, Wiesbbaden, 2000, p. 71.

والعمود في العمارة عنصر إنشائي شاقولي، داعم لسقف أو جدار أو عتب أو عقد، يهدف إلى نقل أحمال العناصر الأفقية في التسقيف إلى القواعد والأساسات التي تنقلها بدورها للأرض. وهكذا فهو وسيلة نقل العزوم الواردة من عناصر البناء الأفقية. والغاية منه الاستفادة من المساحات الحرة بين الأعمدة التي تجعل إمكانية زيادة مساحة الغرفة ممكنة. واستعمل في تجسيد هذا العنصر خامات متعددة، بحسب توفرها في البيئات، فجاءت من خامات القصب والخشب، والآجر، والحجر.

كما تعددت أشكال الأعمدة بتعدد الطرز والعهود التاريخية، واختلفت طرزه باختلاف الأقطار ثم الثقافات والمعتقدات، لكن من الثابت أنها بقيت محاكيه للأشكال الطبيعية. كما سيحدد الموقع الجغرافي نوع الخشب المستخدم؛ نخيل التمر في جنوب بلاد الرافدين ومصر والخشب الصلب في بلاد الشام والأناضول. في حين تم استخدام الأعمدة الحجرية على نطاق واسع فقط في مصر.[5]

ولعل أقدم استعمال للأعمدة يرد في العمارتين العراقية والمصرية، وقد كان للعمود السومري المتكون من حزمة القصب التي تشد بعقال قصبي كي لا تنفلت. ثم ورد من العمارة السومرية والأكادية محاكاة لتلك الأعمدة ولكن مصنوعة من خامة الطوب أو الآجر، بهيئات مربعة أو دائرية، حيث عثر على بقايا أربعة أعمدة في مدينة لكش. ونجد خير الأمثلة في القاعة العراقية في متحف اللوفر

(4) مهدي صالح، "العمود في العمارة العربية الإسلامية (دراسة تحليلية للأبعاد والمضامين" مجلة القادسية للعلوم الهندسية، مجلد7، العدد 2 (2014)، ص45.

(5)Leick, G., Adictionary of Ancient Near Eastern architecture, London, 2003, p.50.

(ISSN: 2536 - 9555)

المتكون من أربعة أعمدة ضخمة آجرية، حيث يتشكل العمود من أربعة أسطوانات دائرية متماسة تحصر بينها نجمة مربعة. (6)

اعتمدت العمارة المصرية القديمة على استعمال عنصر العمود المبني من الحجر، ويمكن أن يكون قد سبقتها خامات نباتية بقيت أشكالها في المنحوتات التي اختصت بها التيجان أو أطناف المباني، مثل أشكال منحوتة تحاكي جريد النخيل أو زهرة اللوتس أو البردي التي كانت تربطها عصابات من أعلاها وأسفلها. تظهر نماذج المنازل واللوحات الداخلية المصرية أن الدعامات الخشبية كانت مغطاة بالجبس، والتي يمكن تشكيلها وصبغها في أنماط مختلفة (خطوط أفقية أو عمودية وما إلى ذلك). كما يمكن تزيين الجزء العلوي من الأعمدة بشرائط أو زهور وفروع نباتية. فقد كانت جذوع أشجار النخيل، عند نزعها من لحاءها المتقشر، ليست جذابة للغاية، ولكنها توفر سطحًا خشنًا يلتصق به الجص بسهولة، الأمر الذي يسمح بتزيينها.(7) وكانت توضع الأعمدة في صفوف داخل القاعات الكبيرة والمتوسطة، وقد وردت في بعض الرسوم التمثيلية كما في رسوم تل العمارنة، وقد وردت بعض الأعمدة المصرية تخليداً لآلهتهم أو ملوكهم كالعمود الأوزيري والعمود الحاتحوري وغيرها.(8)

وكانت الأعمدة إما مقطوعة من كتلة واحدة أو تتكون من عدة كتل منحوتة من نفس النوع من الحجر. اختلفت نسب الأعمدة، وخاصة علاقة الارتفاع إلى سمك العمود، في فترات مختلفة. خلال الدولة القديمة والوسطى كان الارتفاع

(6) ثويني، علي، العمود في العمارة، ستوكهولم، 2010. مقالة منشورة في موقع: http://kenanaonline.com/؛ يوسف (شريف)، تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، بغداد، 1982، ص176.

(7)Leick, G., Adictionary of Ancient Near Eastern architecture, p.51;53.

(8) ثويني، علي، العمود في العمارة.

حوالي 5½ أو 6 أضعاف القطر. وخلال عصر الدولة الحديثة (خاصة فترة الرعامسة) كانت الأعمدة أكثر تعقيدًا (4 أو أقل من عرض العمود).[9]

كما كان للأعمدة الدور الكبير في الكثير من عمائر سوريا خلال فترة الدراسة، وتواجدت في أكثر من قسم من أقسام البناء. وستتم دراسة الأعمدة تبعاً لمكان استخدامه.

أولاً: الأعمدة في الشرفات والأروقة

استخدمت الأعمدة في دعم الأروقة أو الشرفات في سوريا منذ منتصف الألف الثالث ق.م، لما لهذه الأروقة من أهمية في حماية جدران الأبنية من مياه الأمطار، وأشعة الشمس في الصيف. وكانت هذه الأعمدة مبنية من الطوب اللبن، فقد استخدمت الأعمدة المربعة في تل بيدر لحمل رواقين مقنطرين يطلان على باحة القصر في الأكربول العائد لأعوام 2500-2475 ق.م (الأشكال1-2)، والتي تم تدعيمها في فترة لاحقة بإضافة عدد أكبر من الأعمدة لتقليص المسافة بين الأعمدة وذلك في حوالي 2450 ق.م.[10]

وفي إبلا استخدمت الأعمدة الخشبية في عدة أماكن، فقد استعملت في الساحة المركزية للمدينة لحمل الرواقين الشمالي والشرقي،[11] ولكن الحريق قضى عليها وتدل على وجودها الحفر المستديرة في الأرضية. ويعود تاريخ البناء لأعوام

---

(9)Leick, G., Adictionary of Ancient Near Eastern architecture, p.50.

(10)أنطوان سليمان، مارك لوبو، تل بيدر/ نابادا مدينة من البرونز القديم في الجزيرة السورية 10 سنوات من الأعمال (1992-2002)، ترجمة موسى الخوري، دمشق، 2005م، ص22-23.

(11) تجدر الإشارة إلى أن الرواق الشمالي هو الطريق الذي كان يسلكه الملك قادماً من قصره إلى المنصة عبر بوابة ودرج المراسم، وقد شيدت المنصة أمام الواجهة الشمالية للساحة. علي القيم، امبراطورية إبلا، دمشق، 1989م، ص49.

(ISSN: 2536 - 9555)

2400–2250ق.م.[12] يبلغ عرضها 42م وطولها أقل من 60م. وبلغ عرض الرواق الشمالي 5.5م والشرقي 5م. [13] حملت سقوفها على أعمدة خشبية وضعت الأعمدة بمسافة 4م بين العمود والآخر، بقطر 0.7م تم تثبيتها بالأرض وتقوم على قواعد من الحجر الجيري بعمق 0.5م تحت الأرض،[14] وتوجت ببلاطات حجرية. ويبدو أن طول هذه الأعمدة قد بلغ 3.7م في الرواق الشمالي، و2.8م – 3.6م في الرواق الشرقي.[15] كما استعملت الأعمدة لحمل رواق الباحة المركزية للجناح الإداري للقصر G (الشكل3).[16]

استعملت الأعمدة أيضاً في مدينة ماري، فقد عثر في ساحة الزقورة على قواعد أعمدة حجرية، تحمل أعمدة خشبية في الرواق الذي يتقدم مدخل الزقورة (الشكل4).[17]

وفي أوغاريت تم استعمال الرواق المعمد بشكل كبير في العديد من المنشآت المعمارية، نظراً لما تؤمنه الأروقة من إضاءة للغرف الداخلية، وربما لتوفر

(12) علي القيم، امبراطورية إبلا، ص48.

(13)Santarelli, M.L., & Spreafico, G., "Archaeometrical anallaysis of architectural components of royal palace G", in: Matthia, P., & Marchetti, N., (eds) Ebla and its landscape: Early state formation in the ancient Near East, California, 2013, p.371.

(14)Matthia, P., "the royal palace Functions of the Quarters and the Government of the Chora" in: Matthia, P., & Marchetti, N., (eds) Ebla and its landscape: Early state formation in the ancient Near East, California, 2013, p.51.

(15) علي القيم، امبراطورية إبلا، ص49.

(16)Matthia, P., the royal palace Functions, p.51.

(17)Parrot, A., Les fouilles de Mari, cinquibme campagne. *Syria* 20 (1939), p.11.

الأخشاب في أغاريت لعمل الأعمدة. فيتقدم مدخل القصر الملكي[18] شرفة مرصوفة مهيبة، يدعمها عمودين؛ بقيت قواعدهما الحجرية، تؤدي شرفة المدخل إلى دهليز صغير، يوجد على يمين الدهليز مساحة مفتوحة كبيرة مرصوفة بالحجارة (الفناء 1) تبلغ أبعاده 14x16م. وفي طرف الساحة يوجد رواق معمد يؤدي إلى قاعة العرش المربعة بطول ضلع 10م (الشكل5).[19]

وفي شمأل يلاحظ استخدام الرواق المعمد في القصر السفلي وبشكل خاص بالرواق المتصل ببيت هيلاني 4 (الشكل 6). [20]

ثانياً: الأعمدة في الجدران

استعملت الأعمدة أو الدعامات في العديد من المنشآت المعمارية في سوريا، وكانت إما من الطوب اللبن أو المشوي، أو من الخشب وتدمج مع الجدران. وكان لهذه الأعمدة أو الدعامات جانب وظيفي يتمثل في تدعيم الجدران لتزيد من متانتها، لتسهم في حمل الأسقف المرتكزة على الجدران، ووظيفة جمالية من خلال تقليل المساحات الصماء على طول الجدران وتقسم الجدران إلى أقسام أصغر، مما يؤدي إلى وجود تناوب في النور والظل، الأمر الذي يعطي راحة لعين الناظر، وجمالاً في شكل الجدار.

وفي مدينة ماري كان البناؤون يقومون بتزيين الجدران بزينات هندسية محضة على شكل بروزات وغوائر، كما في معبد عشتاروت ومعبد نيني–زازا وقصر ما

(18) يتكون القصر الملكي من حوالي 90 غرفة بالطابق الارضي بالإضافة إلى ستة أفنية، كما تم التعرف على 12 درج على الأقل، ولذلك من المفترض وجود طابق ثاني مخصص للسكن الملكي. يقع المدخل الرئيسي للقصر إلى الشمال الغربي من الساحة الملكية. Yon, M., The city of Ugarit at Tell Ras Shamra, Indiana, 2006, p.38.

(19)Yon, M., The city of Ugarit, p.38.

(20)Brown, B.A., North Syrian urbanism, 1200-800 BCE, Unpublished Ph.D. Dissertation , University of California, Berkeley, (2008), p.473.

(ISSN: 2536 - 9555)

قبل سرجون (الشكل7). حيث يؤدي تراصف النتوءات على الجدران الخارجية إلى الحد من الرتابة في الواجهات عن طريق تلاعب النور والظل الذي يعطي نتيجة باهرة في هذه البلاد حيث الشمس الحادة. وقد يضيفون أحياناً طبقة من الجص.[21] ويظهر في معبد نيني– زازا جدرانه مزينة بتجويفات يحيط بها من الطرفين عضادات.[22] كما يزين جدران باحة معبد شمش بروزات وتدعيمات ومزودة بدخلات من الطين.[23] ويزين الواجهة الشمالية الغربي للمبنى المعروف بالكتلة الحمراء[24] محاريب ونتوءات مضاعفة متتالية. ويعود لعهد ما قبل سرجون.[25] كما استعملت المحاريب والبروزات في تزيين المذابح، فوجد في قصر ما قبل سرجون مذبح مزين بأحد عشر محراب،[26] كما يزين أحد المذابح بقصر زمري ليم خمسة محاريب مستطيلة. وقد وجد أمثلة كثيرة لهذه المذابح ذات المحاريب والعضادات في كل من معبد عشتاروت وأسفل الكتلة الحمراء، وفي معبد الأسود وأخيراً خارج معبد نينهورساغ.[27]

ثالثاً: الأعمدة لدعم السقف

تستند الأسقف بشكل أساسي على الجدران. ومع ذلك، كانت هناك حاجة إلى دعم إضافي بمجرد أن تتجاوز الغرف الحجم المحدد الذي يمليه طول عوارض التسقيف. ومن هنا جاءت الحاجة للأعمدة التي تحمل سواكف يمكن أن تستند

(21) أنريه بارو، ماري، ترجمة رياح تفاح، دمشق، 1979م، ص70.

(22) أندريه بارو، ماري، ص73.

(23) أندريه بارو، ماري، ص75.

(24) يعتقد أنها قاعدة لزقورة اختفت قمتها بالكامل، وسميت بهذا الاسم كون الطوب لونه أحمر نتيجة شيه نص شواء. أندريه بارو، ماري، ص77.

(25) أندريه بارو، ماري، ص77.

(26) أندريه بارو، ماري، ص83.

(27) أندريه بارو، ماري، ص85.

عليها جذوع الأشجار التي تسقف المبنى.[28] ولذلك فإن الاستخدام الأهم والأكبر للأعمدة كان لتدعيم الأسقف في المباني ذات الغرف الواسعة، وكانت هذه الأعمدة في معظمها مصنوعة من الخشب وترتكز على قاعدة حجرية بسيطة أو مزخرفة، وفي أحيان أخرى يتم عمل حفرة بعمق معين يرتكز عليه العمود، مما يمنع انزلاقه.

وفي تل بيدر توجد أولى الأمثلة على استخدام العمود لتدعيم قاعة المعبد الصغير الذي يعود للفترة الأكادية، حيث عثر على بقايا عمود كانت مهمته أن يحمل السقف على الأرجح. كما تم تقسم أحد الممرات في المعبد A في الفترة الأكادية بواسطة دعامات من اللبن تعلو بعضها أقواس بعقود كاملة من اللبن، وسقفت الغرف الأربعة بقباب.[29] وأيضاً، يفترض استخدام أعمدة أو دعامات لحمل سقف الغرفة الرئيسية للمعبد E البالغ عرضها 15م، ولكن التنقيبات لم تكشف بعد كامل القاعة.[30]

وفي إبلا تم استخدام الأعمدة الخشبية في المعبد المعروف بالمعبد الأحمر.[31] ويتألف من صالة رئيسية (سيلا) أبعادها 9.4x10.2م قسمت إلى ثلاثة أقسام من خلال أربعة أعمدة، حيث تم العثور على قواعد الأعمدة المصنوعة من الحجر

(28)Leick, G., Adictionary of Ancient Near Eastern architecture, p.50.

(29) أنطوان سليمان، مارك لوبو، تل بيدر/ نابادا، ص47.

(30)Pruss, A., "A Synopsis of the Euro-Syrian Excavations at Tell Beydar" in: Bonatz, D., & Martin, I., (eds) 100 Jahre archäologische Feldforschungen in Nordost-Syrien – eine Bilanz, Wiesbaden, 2013, p.145.

(31) يقع على الحافة الغربية للأكروبوليس، ويقع أسفل معبد عشتار، وتبلغ أبعاده 17x24.5م، ويعود سبب التسمية إلى اللون الأحمر للطوب المبني به.

(ISSN: 2536 - 9555)

الجيري في مكانها، ويتقدم الصالة دهليز أبعاده 6.7x9.4م يضم عمودين عثر على قاعدتيهما من الحجر الجيري (الشكل8-9).[32]

وفي قطنا عثر في القصر الملكي[33] على العديد من قواعد بازلتية كانت على ما يبدو لأعمدة خشبية تحمل السقف. وتتميز قاعة الاستقبال فيه (القاعة c) بالضخامة (36x36م) وكان يوجد في وسطها أربعة قواعد بازلتية قطرها 2م موضوعة على شكل مربع طول ضلعه حوالي 11م، يعتقد أنها كانت تحمل أعمدة خشبية دائرية كبيرة يصل ارتفاعها إلى ما بين 10-12م كانت تحمل السقف، ويتم الحصول عليها من جبال لبنان القريبة. ونظراً لضخامتها فإنها تعد أكبر قاعة قصر معروفة في الشرق الأدنى القديم من العصور البرونزية. فهي أكبر من القاعة الملكية الموجود في العاصمة الحثية خاتوشا.[34] أما قاعة العرش الأولى يبلغ طولها 41م وعرضها 20م، يدعم السقف عمودين خشبيين يستندان على

(32)Matthia, P., "A Long Journey Fifty Years of research on the Bronze Age at Tell Mardikh/Ebla"in: Matthia, P., & Marchetti, N., (eds) Ebla and its landscape: Early state formation in the ancient Near East, California, 2013, pp.39-40.

(33) شكل القصر الملكي مركز المدينة، وقد بني في الزاوية الشمالية الغربية من المدينة العليا (الأكربول) على مصطبة نصفها طبيعي والآخر صناعي، وترتفع عن المنطقة المجاورة لها 20م. يعد هذا القصر أحد أكبر القصور المعروفة من نوعها في العصر البرونزي الوسيط في سوريا وفلسطين، شابه في تصميمه قصر زمري ليم في ماري. وكان مقر الحكم والسكن للملك وأسرته، ومركزاً إدارياً للموظفين، ويوجد تحت أرضيته قبور الملوك السابقين. وقد شغل مساحة تزيد عن 1600م2 (150x110م). عيد مرعي، "مملكة قطنة" *دراسات تاريخية*، العددان 117-118 (2013م)، دمشق، ص10.

(34)عيد مرعي، مملكة قطنة، ص10.

قاعدتين بازلتيتين مربعتين أبعاد الشمالية منهما 2.25x2,7م والجنوبية منهما 2,03x3,20م وتفصل بينهما مسافة 17,7م (الشكل10).[35]

رابعاً: الأعمدة في المداخل

استخدمت الأعمدة في مداخل الأبنية، وبشكل خاص في المداخل الكبيرة، لحمل ساكف الباب. ولعل أقدم استخدام للأعمدة في المداخل في سوريا جاءت من إبلا، فالبوابة الأمامية للقصر الغربي في إبلا التي يحتمل أن تكون محمولة على عمودين، تسبق البوابة المكتشفة في آلالاخ، كما تسبق ما يسمى بطراز بيت هيلاني الذي انتشر في بلاد الشام خلال الألف الأول ق.م.[36]

وفي تل براك استخدمت الأعمدة الخشبية التي تستند على قواعد حجرية غائرة بالأرض في منتصف المدخل في مداخل الواجهة الغربية للباحة 8 والتي تضم ثلاثة بوابات كل منها بعرض 5م، كانت واسعة جداً بحيث لا تتحمل عقود. وفي أبواب الغرفتين 15 و16، كما هو الحال في مدخل الغرفة 5 والغرفة 19.[37]

وفي آلالاخ كشف في القصر بالسوية 12 عن صف من الأعمدة بنيت من القوالب الطينية، وكان لكشف هذه الأعمدة الطينية أهمية خاصة نظراً لاعتبارها استمراراً للهندسة المعمارية المحلية، ويمكن إيجاد ما يماثل هذه الهندسة في بلاد ما بين النهرين في فترة السلالات الباكرة التي كانت توضع عند مدخل القصر.[38] ويتكون صف الاعمدة من أربعة أعمدة، بحيث يتواجد كل عمودين بقرب

---

(35)Dardaillon, E., "Quelques remarques sur le complexe palatial de Qatna" Syria, T. 77 (2000), pp. 74-75.

(36)علي القيم، امبراطورية إبلا، ص56.

(37)Oates, D., & Oates, J., & McDonald, H., Excavation at Tell Brak, Vol.2. Nagar in the third millennium Bc, London, 2001, p. 80.

(38)عمار عبدالرحمن، مملكة ألالاخ دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية، دمشق، 2007م، ص20.

(ISSN: 2536 - 9555)

بعضهما، ويفصل بين كل زوج أعمدة مسافة 1,75م. تم وضع قاعدة اثنين منهما بعمق 2,5م، وقاعدة العمودين الآخرين بعمق 1,7م. يرجح وولي أن هذه الأعمدة كانت مخصصة لبوابة ذات ثلاثة مداخل للقصر في السوية 12 (الشكل 11).[39]

وفي جوزانا ظهرت الأعمدة في ثلاثة مواضع، وجميعهم ضمن البوابات:

الأول: ضمن البوابة الرئيسية الثانية الأحدث للقلعة، ذات مخطط تقليدي، المعروف بالمدخل رباعي الغرف. وتتكون من ستة دعامات تحصر بينها أربع غرف. [40] والتي يمكن مقارنتها مع بوابة القلعة في كركميش.[41]

والثاني: ضمن البوابة المعروفة ببوابة العقرب،[42] وهذه البوابة تشبه من حيث مخططها المرحلة الثانية من بوابة القلعة، والمكونة من ستة أعمدة وأربع غرف. ويبلغ البعد بين الأعمدة 3,6م.[43]

والثالث: في مدخل القصر، البالغ عرضه 9م وارتفاعه 6م. وهو من نوع المداخل المركبة المكونة من مدخلين عبارة عن عمودين جانبيين وعمود أوسط

(39)Woolle, L., **Alalakh: an account of the excavations at Tell Atchana** in the Hatay, 1937–1949. In: Reports of the Research Committee of the Society of Antiquaries of London, vol.18, London, 1955, pp.19–20.

(40)Oppenheim, M.V., Tell Halaf II: die Bauwerke, Berlin, 1950, s. 65.

(41)Orthmann, W., Die Aramäisch–Assyrische stadt Guzana , Saarbrücken, 2002, ss. 33– 34.

(42) تؤدي البوابة المعروفة باسم بوابة القلعة إلى طريق مرصوف يؤدي بدوره إلى منحدر يربط بين بوابة القلعة وبوابة ثانية ضخمة، أطلقت عليها بعثة التنقيب اسم بوابة العقرب وقد سميت هذه البوابة بهذا الاسم نتيجةً لوجود لوحة من البازلت تحتوي على نحت بارز مكون من الرجل العقرب المجنح.

(43)Oppenheim, M. V., Tell Halaf II, ss. 87–91.

(الشكل 12). أخذت الأعمدة في هذا البناء شكلاً زخرفياً مميزاً قوامه ثلاثة حيوانات كبيرة هم أسد ولبؤة وثور، يعلو الأسد الذي يقع إلى يسار الداخل إلى القصر تمثال معبود شاب،[44] ويعلو الثور الذي يقع في الوسط تمثال المعبود حدد، أما الأسد الذي يقع على يمين الداخل فيعلوه تمثال المعبودة عشتار. يرتكز الإطار المعماري للمدخل على جدار يشبه البرج من الجهة اليمنى ومن الجهة اليسرى، ويلتصق بأسفل كل من البرجين تمثال لأبي الهول المؤنث، كما يعلو التماثيل الآدمية التي فوق الحيوانات عناصر معمارية تشبه تيجان الأعمدة مخروطية الشكل، بحيث تؤلف مع الأشكال الآدمية وحيواناتها أعمدة تحمل ساكف (عتب علوي كبير) والذي يرتكز عليه سقف الواجهة.

وقد اختلف الباحثون حول ماهية هذه التماثيل، فيما إذا كانت تمثل أفراد الأسرة المالكة التي بنت القصر (وفي هذه الحال تكون تمثل كابارا وزوجته وابنه) أو تمثل معبودات (المعبودات حدد وعشتار والمعبود الشاب)، ومرد ذلك إلى أن هذه التماثيل لا تحمل أي إشارة من إشارات الربوبية، فيعلو رأس المرأة قلنسوة قصيرة مطرزة، أما الرجلان فرأسهما ناقص، واعتقد في البداية أنهما يلبسان تاجين على كل منهما قرون، ولكن تبين بعد الفحص الدقيق لهما أنهما ليسا كذلك. كما لا توضح الكتابة الموجودة على تمثال المرأة إذا كانت هذه التماثيل لأشخاص أم لمعبودات.[45]

ولكن وعلى الرغم من ذلك فقد رجح معظم الباحثين أن هذه التماثيل تمثل معبودات، ليس فقط بسبب ضخامة حجمها، ولكن لوقوفها على حيوانات ارتبطت

(44) هناك اختلاف بين الباحثين حول ماهية الأشخاص الذين تمثلهم هذه التماثيل، فهناك من يعتبر أنها تمثل أفراد العائلة الملكية، وهناك من يعتبر أنها تماثيل لآلهة.

(45) شوقي شعث، "إعادة إنشاء واجهة القصر المعبد في تل حلف" *الحوليات الأثرية العربية السورية*، المجلد الثالث والعشرون (1973م)، ص148.

(ISSN: 2536 - 9555)

بشكل كبير بالمعبودات حدد وعشتار ومعبود شاب.[46] بالإضافة إلى ذلك فإن النقش الكتابي وجد على تمثال المرأة وليس تماثيل الرجال، فلو كانت هذه التماثيل لكابارا وأسرته، فمن المنطقي أن يدون النقش الذي يذكر فيه أن هذا المبنى هو قصره على التمثال الذي يمثله وليس على تمثال زوجته.

وفي شمأل ظهرت الأعمدة في العديد من مداخل العمائر. فالقصر الأقدم في هذه المملكة والذي ينسب للملك (كلاموا)[47]، والذي يعاصر بيت هيلاني في مملكة جوزانا، لم يبن وفق طراز هيلاني، بل شيد على نمط قصور ألالاخ، حيث يضم ثلاثة أجنحة، الرسمي والسكني والخدمة (الشكل13). ثم أضيف لهذا القصر في فترة زمنية لاحقة بناء جديد على نمط بيت هيلاني،[48] ويشبه إلى درجة كبيرة نظيره في جوزانا، حيث يصعد إلى القاعة الأمامية بواسطة درج خارجي عريض، ينتهي إلى المدخل العريض، المقسم بواسطة ثلاث أعمدة إلى أربعة أقسام. تم نحت قواعد الأعمدة بعدة زخارف غير تصويرية (الوريدات، ضفائر، زخارف حلزونية).[49]

كما عثر في مدخل بيت هيلاني 3 الذي يبلغ عرضه 11م على قاعدتي عمودين، يزين كل منهما نحت بارز لأبو الهول، تبلغ أبعاد إحداهما 1,03م

(46) تبنت بعثة التنقيب هذا الرأي وقد وافقها عليه معظم الباحثين الذين تحدثوا عن آثار تل حلف، إلا أن هناك رأي ثالث تبناه علي أبو عساف في كتابه "الآراميون"، فيرى أن هذه التماثيل لا تمثل آلهة أو أشخاص بعينهم، لأن استخدامهم كأعمدة لم يكن مألوفاً، كما يرى أن النحات قد اهتم قبل كل شيء بملائمة وضعية الأجسام مع عملها، بينما لم يهتم كثيرا في تقليد أعضاء الجسم. لذلك يرجح أن تكون هذه التماثيل مجرد عناصر زخرفية تزيينيه، كاللوحات وتماثيل أبي الهول التي تزين المدخل.

(47) يرمز له ضمن المخطط بالحرف (L).

(48) يرمز له ضمن المخطط بالحرف (K).

(49)Brown, B.A., North Syrian urbanism, p.472.

ارتفاع، 1,5x1,25، والأخرى 0,96م ارتفاع، 1,55x1,24م (الأشكال14-15).[50] وكان يدعم عتب مدخل بيت هيلاني4 مدعومًا بعمود، قاعدته من البازلت منحوتة في شكل أبو الهول تبلغ أبعادها 1م ارتفاع، 1,44x0,75م. [51] من المثير للاهتمام أن الواجهة الجنوبية ومدخل "قصر باراكب" هو نسخة معمارية عن المبنى K "قصر كلاموا"، مع مدخل من ثلاثة أعمدة كبيرة في قصر كلاموا، ومدخل بعمود واحد صغير في قصر براكب، وكل يؤدي إلى وحدات وظيفية منفصلة. [52]

وفي تل طعينات، استخدمت الأعمدة في العديد من مداخل العمائر. فيحتوي مدخل المبنى1[53] في المرحلة الأولى من البناء على ثلاثة أعمدة بازلتية مزينة.

---

(50)Brown, B.A., North Syrian urbanism, p.474.

(51)Gilibert, A., Syro-hittite monumental art and the archaeology of performance: the stone reliefs at Carchemish and Zincirli in the earlier first millennium BC, Berlin, 2001, p.87.

(52)Gilibert, A., Syro-hittite monumental art, p.88.

(53) شكل المبنى1 الركن الجنوبي الشرقي من المباني المجمعة حول الفناء الثامن. كان الدخول من الفناء في الشمال إلى شرفة مفتوحة ذات أعمدة. في الغرب أدى مدخل إلى سلالم صعدت إما إلى الطابق الثاني أو إلى السطح. تؤدي الشرفة إلى الغرفة الرئيسية الكبيرة، بمحورها الرئيسي الموازي لواجهة المدخل، يحيط بها من الجنوب والغرب أربع غرف فرعية. ومن الشرق مجموعة ثلاثية تتكون من غرفة مركزية محاطة من كلا الجانبين بغرفتين أصغر. يبلغ حجم القصر حوالي 29 × 58 م. واحتوى على ثلاثة مراحل من إعادة البناء ومؤشرات على وجود رابعة.

Haines, R.C., Excavations in the Plain of Antioch, II, The Structural Remains of the Later Phases: Chatal Hueyuek, Tell al-Judaidah, and Tell Ta yinat, The University of Chicago. *Oriental Institute Publications* 95, Chicago, 1971 pp.44-45.

(ISSN: 2536 - 9555)

تم وضعها على أساس من الحجر الخام. تتألف قواعد الأعمدة من شريط علوي مزخرف، وشريط سفلي مزخرف وبينهما إطار مركزي مزخرف بأشكال ضفائر. قطرها 1,11م وارتفاعها 0,7م، وسطح القاعدة يكفي لحمل جذع عمود بقطر حوالي 0,75م (الشكل 16). وهو بذلك قريب الشبه بمقاسات العمود في بيت هيلاني بتل فخيرية.[54] وفي المرحلة الثانية من البناء تمت تغطية قواعد الأعمدة بالكامل، وجعل المدخل مكون من فتحة واحد لم تستعمل فيها الأعمدة. وفي المرحلة الثالثة من إعادة البناء تم إعادة بناء القصر بالكامل، ومرة أخرى تم تغيير شكل المدخل. فقد كان أوسع بكثير مما كان عليه في المرحلة الثانية، وربما كان هناك عمود مركزي واحد لدعم ساكف الباب الذي يمتد على عرض المدخل، ما يقارب حوالي 10 م؛ ربما تم استخدام واحد من القواعد البازلتية الكبيرة غير المزخرفة الموجودة في غير مكانها على التل.[55]

خامساً: الأعمدة الزخرفية

ويقصد بها الأعمدة التي لا تكون لها غاية وظيفية، وإنما وجودها كان لدافع زخرفي بحت.

يقدم تل ليلان نموذج فريد في للأعمدة الزخرفية في سوريا. حيث تضم الواجهتين الشمالية والجنوبية للمعبد[56] الذي بناه شمشي حدد في تل ليلان

(54) ريبر خلف، العمارة المدنية في منطقة الجزيرة السورية خلال العصر الحديدي (تطبيقاً على محافظة الحسكة)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة القاهرة، كلية الآثار، 2015، ص131.

(55) Haines, R.C., Excavations in the Plain of Antioch, II, p.51.

(56) على الرغم من أن معبد تل ليلان غير كامل إلا أنه يعتبر أحد المعابد الضخمة خلال هذه الفترة، فالواجهة الجنوبية طولها 110م وعرضها 50م وتشكل مساحته 6000م2 (في حين معبد سن شمشي في آشور 1920م2، ومعبد تل الرماح 1935م2، ومعبد آشور 6105م2.

أنصاف أعمدة حلزونية مشيدة باللبن كانت تكسوها طبقات طلاء وتمثل بشكلها جذع شجرة النخل.[57] فتمتد الواجهة الشمالية بعرض 20م وهي مزخرفة بدعائم حلزونية أو مسطحة، أما الواجهة الجنوبية فتتجه نحو القلعة وتمتد بطول 9م فقط. وكانت مزخرفة بدخلات وأنصاف أعمدة على شكل جذوع النخل لكنها تعرضت لعوامل الحت (الشكل 17). [58]

توفر الأعمدة الطينية في معبد تل ليلان، زخرفة للواجهة باستخدام أربعة أنواع مختلفة من أنصاف الأعمدة المشغولة: والأعمدة ذات الوجه العادي المربعة (الواجهتين الشمالية والجنوبية) ؛ أعمدة من اللوالب الطينية الحلزونية (الواجهة الشمالية)؛ عمود جذع النخيل مع البتلة مثل سعفة (الواجهة الجنوبية) ؛ عمود جذع النخيل، مع ندوب على شكل الماس، وتحيط بها أعمدة مضفرة (الواجهة الشمالية).

يلاحظ استخدام الاعمدة على شكل جذوع النخيل في عدة أماكن في سوريا وبلاد الرافدين. فقد زينت أعمدة نخيل التمر الكبيرة من الطين مع ندبات على شكل الماس بوابة معبد ورد سين في أور في القرن التاسع عشر قبل الميلاد. كما يلاحظ الشبه الكبير بين أعمدة معبد تل ليلان مع أعمدة معبد تل الرماح في العراق والذي بناه شمي أداد الذي بنى معبد تل ليلان أيضاً. فيتميز معبد تل الرماح بأعمدة لولبية مماثلة لتلك الموجودة في ليلان، بالإضافة إلى نوعين من الأعمدة الشبيهة بجذوع النخل.

هارفي وايس، "تل ليلان في الألف الثالثة والثانية" ترجمة أسعد المحمود، *الحوليات الأثرية العربية السورية*، المجلد الثالث والثلاثون، الجزء الأول (1983م)، ص167.

(57) هارفي وايس، تل ليلان في الألف الثالثة والثانية،ص165.

(58) هارفي وايس، تل ليلان في الألف الثالثة والثانية، ص166-67.

(ISSN: 2536 - 9555)

من المحتمل أن تعكس أعمدة جذوع النخل المصنوعة من الطين في تل ليلان وتل الرماح، الاستخدام العملي لأخشاب النخيل في بناء المباني. فقد كتب شمشي آداد نفسه إلى ياسمخ–آد: "تقطع أشجار النخيل وأشجار السرو والآس التي تم إحضارها من بلدة قطانوم في بلدة سوبروم. أرسل ماشية وعدد قليل من المسؤولين معه إلى سوبروم، حيث يقسمون أشجار النخيل وأشجار السرو والآس إلى ثلاثة أقسام. أرسل ثلث أشجار النخيل وأشجار السرو والآس إلى إكاتلاتوم، وثلثها إلى نينوى، وثلثها إلى شوبات إنليل... هذا الذي ترسله إلى شوبات إنليل سيتم نقله بواسطة السفينة إلى بلدة ساجاراتوم، ثم من ساجاراتوم إلى بلدة قطانوم. من قطانوم دع رجال قطانوم يأخذونها في عربات، ودعهم يحضرونها إلى شوبات إنليل".[59]

ويقدم تل براك أسلوب جديد لتزيين الجدران باستخدام أعمدة زخرفية مصنوعة من الطين المخلوط بالجص، وينفذ على شكل أعمدة متوازية ضيقة بعرض 0,09م بفاصل بينها 0,13م. وقد استخدم هذا النوع من الزخرفة على المباني العامة فقط. فتزين الواجهة الشمالية الشرقية للمبنى الذي يعتقد أن يكون معبد صغير، وإذا كان الأمر كذلك، فهو المبنى الديني الوحيد المعروف في المستوى الأكادي المتأخر من منطقة FS.[60] والواجهة الشمالية للساحة 8 (الشكل18)،[61] وجميع أسطح الجدران الداخلية للغرفتين 5، 6 التي تفتح على

(59)Weiss, H., "Tell Leilan on the Habur Plains of Syria" *The Biblical Archaeologist*, Vol. 48, no. 1 (Mar., 1985), p.11.; archives royales de mari, ARM I. 7: 4–31

(60)Oates, D., & Oates, J., & McDonald, H., Excavation at Tell Brak, Vol.2, p. 60–61.

(61)Oates, D., & Oates, J., & McDonald, H., Excavation at Tell Brak, Vol.2, p. 78.

الجانب الشمالي من الباحة8.[62] كما تزين الغرفتين 15 و19 والجدار الجنوبي للممر بين الغرفة 21 والباحة 22،[63] والدعامة الغربية لمدخل الغرفة 23.[64] وبذلك تكون الأعمدة الجصية الضحلة الزخرفة الأكثر استخداماً في الأبنية الرسمية بالموقع.

مما تقدم يلاحظ استخدام الأعمدة بالعديد من المواقع في سوريا وفي مختلف أنواع العمارة، فقد استخدم لحمل الأروقة أو الشرفات وتبلغ المسافة التي تفصل بين الأعمدة في الأروقة حوالي 4م.

أما استخدام الأعمدة في الجدران لتدعيمها وتشكيل دخلات رأسية بارز وغائرة فكانت مقتصرة على عمارة الألف الثالث ق.م. فاستخدمت في القصور والمعابد في تل بيدر، وفي القصور والمعبد في تل براك، وفي القصور والمعابد في ماري. وهذا يشير إلى استخدام الأعمدة في كل من المعابد والقصور على حد سواء.

وبالنسبة لاستعمال الأعمدة لحمل الأسقف فقد استخدمت في عمارة الألفين الثالث والثاني فقط. وذلك لحمل أسقف المعابد والقبور في الألف الثالث، وفي القصور والقبور في الألف الثاني. وربما يفسر عدم استخدام الأعمدة لحمل أسقف العمائر في سوريا في الألف الأول، بصغر مساحة الغرف في هذا العصر، إضافة لعدم وجود ممالك ذات قوة ومكانة كبيرة، مقارنةً بالممالك القوية في الألفين الثاني والثالث، كماري وإبلا وقطنا، وغيرها التي كانت تضم قصور في غاية الضخامة، وحرص الملوك في هذه المواقع على التفاخر بعظمة وضخامة

(62)Oates, D., & Oates, J., & McDonald, H., Excavation at Tell Brak, Vol.2, p. 80.

(63)Oates, D., & Oates, J., & McDonald, H., Excavation at Tell Brak, Vol.2, p. 87.

(64)Oates, D., & Oates, J., & McDonald, H., Excavation at Tell Brak, Vol.2, p. 88.

(ISSN: 2536 - 9555)

قصورهم. أما بالنسبة للمساحة التي يساعد في تغطيتها العمود فهي كالتالي: 23,97م^2 في حرم المعبد الأحمر في إبلا، 31,49م^2 في القاعة الأمامية في المعبد نفسه، بقطر عمود خشبي 0.5م، وحوالي 30م^2 في ألالاخ، بقطر عمود حوالي0,5م، 324م^2 في قاعة الاستقبال بقصر قطنا، و410م^2 في قاعة العرش، بنصف قطر حوالي 2م. إن هذه المساحة الكبيرة جداً التي يساعد العمود في تغطيها في قطنا يمكن تفسيرها باستخدام خشب الأرز الذي يمكن أن يصل طوله إلى حوالي 35م، أي أن خشب الأرز يمكن أن يصل بين جدران القاعة التي يبلغ عرضها 20م في قاعة العرش، وبالتالي نكون وظيفة الأعمدة هي تدعيم هذه الأخشاب ومنعها من التقوس مع مرور الوقت. أما بالنسبة لقاعة الاستقبال التي يبلغ عرضها 36م، فيعتقد أن وظيفة الأعمدة ليست تدعيم أخشاب السقف وإنما تشكيل محطة استناد تشكلها الأعمدة الأربعة في وسط القاعة.

أما المداخل فكانت أكثر الوحدات المعمارية استخداماً للأعمدة، فقد استعملت في تسعة مواقع في سوريا، ثلاثة من الألف الثالث، وموقع واحد من الألف الثاني، وخمسة من الألف الأول. يستنتج مما ذكر سابقاً تميز عمارة الألف الأول باستخدام الأعمدة في المداخل، واستخدام الأعمدة في القصور بنسبة أكبر بكثير من المعابد. أما من حيث توزع الأعمدة في المداخل والمسافة الفاصلة بين الأعمدة أو بين العمود وجدار المدخل، فهي كالآتي: 1,66م في تل براك، 1,75م في ألالاخ، 1,8م في حوزانا، 2,75م في شمأل، 2,88م في تل الطعينات. ويلاحظ ازدياد المسافة الفاصلة بين الأعمدة في مواقع الألف الأول عن مواقع العصور السابقة.

وأخيراً استخدمت الأعمدة كعنصر زخرفي فقط، دون أن يكون لها دور وظيفي في موقعين فقط، وكانت على شكل أنصاف أعمدة تزين الجدران في كل من معبد

تل موزان من الألف الثالث، والقصر والمعبد الميتاني في تل براك، أو على شكل أعمدة رفيعة من الطين المجصص في تل براك فقط.

هذا من حيث الأماكن التي تم استخدام الأعمدة فيها، أما من حيث المواد المستخدمة في الأعمدة فقد تنوعت بين الطين اللبن كما في القصر في تل بيدر، وفي قصر السوية 12 في ألالاخ، أو الطين اللبن المكسو بالخشب كما في معبد السوية 3 في ألالاخ، أو الخشب وهو المادة الأكثر استخداماً في معظم المواقع في سوريا، أو من الحجر في نموذج فريد بالقصر الغربي في تل حلف. أما قوعد الأعمدة فقد كانت مصنوعة من الحجر الجيري كما في تل البنات وتل طعينات، أو من الحجر البازلتي وهو الأكثر استعمالاً. كما تنوعت أشكال هذه القواعد، فكانت تأخذ شكلاً دائرياً في جميع مواقع الألف الثالث، وبعض مواقع الألفين الثاني والثالث (كما في إبلا وماري وأوغاريت وألالاخ) وكانت هذه القواعد إما بسيطة تخلو من الزخرفة، وإما مزخرفة بزخارف هندسية ونباتية كما في شمأل وتل الطعينات، أو شكلاً مستطيلاً تتوسطه فتحة دائرية، واقتصر استخدامها في مواقع الألف الثاني فقط، كما في قاعة العرش في قطنا وفي تل الفخيرية. وأحياناً تأخذ أشكال حيوانات أو كائنات مركبة، كما في تل حلف وشمأل وتل الطعينات، حيث أخذت أشكال أسود أو ثور أو أبو الهول. وبذلك تؤدي هذه القواعد دوراً وظيفياً بحمل الأعمدة، ودوراً فنياً بزخرفتها بزخارف نباتية وهندسية، ودوراً رمزياً باستخدام الكائنات المرتبط بالمعبودات في تل حلف، وبالكائنات التي لها دور حامي أو حارس كالأسد وأبو الهول. وقد تراوح قطر هذه القواعد بين 2م كما في قطنا و0,7م كما في إبلا، وحملت أعمدة خشبية قطرها بين 1,5م و0,5م. وقد تنوعت الأساليب المتبعة في تثبيت الأعمدة على هذه القواعد، فكانت إما تستند على فتحة مركزية مغلقة بعمق بعض السنتيميترات، وإما في فتحات مفرغة تتوسط قواعد الأعمدة بحيث تنغرس الأعمدة داخل الأرض بعمق حوالي 0,5م كما في إبلا،

(ISSN: 2536 - 9555)

ويوضع لوح حجري بسماكة بضع سنتيمترات أسفل القاعدة وداخل الأرض كما في تل فخيرية.

الأشكال:

الشكل (1) تل بيدر، مخطط قصر الأكروبوليس. نقلاً عن: Pruss, A., A Synopsis of the Euro–Syrian Excavations at Tell Beydar, p.141.

الشكل (2) تل بيدر، العمود الذي يحمل أحد أروقة ساحة قصر الأكروبوليس. نقلاً عن: أنطوان سليمان، مارك لوبو، تل بيدر، اللوحة 55

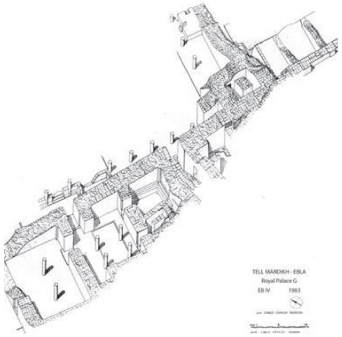

الشكل (3)، إبلا، المجمع الإداري في القصر G. نقلاً عن: Matthia, P., & Marchetti, N., Ebla and its landscape, p.57.

الشكل (4)، ماري، قواعد أعمدة في منطقة الزقورة. نقلاً عن: Parrot, A., Les fouilles de Mari, cinquibme campagne, pl.6.2.

الشكل (5) أوغاريت، القصر الملكي. نقلاً عن:
Yon, M., The city of Ugarit, p.37.

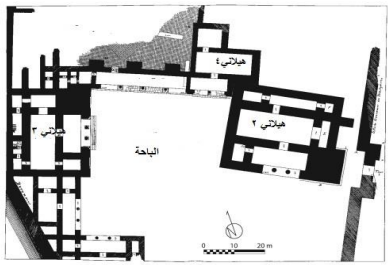

الشكل (6)، شمأل، مخطط القصر السفلي. نقلاً عن:
Gilibert,A. Syro-Hittite Monumental, p.84.

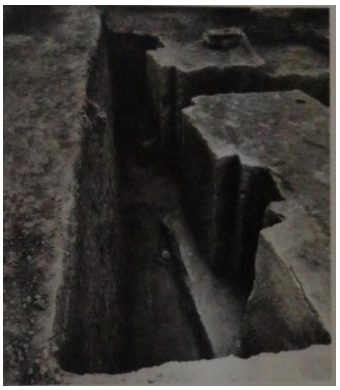

الشكل (7) ماري، الدخلات والبروزات في واجهة قاعة العرش بقصر ما قبل سرجون. نقلاً عن:
Beyler, J.N., Syrie: Mémoire et civilization, p.101.

الشكل (8)، إبلا، معبد عشتار. نقلاً عن:
atthia, P., & Marchetti, N., Ebla and its landscape, p.48.

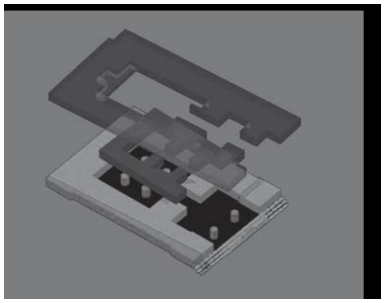

الشكل (9)، إبلا، معبد عشتار في المنطقة D وتحته المعبد الأحمر 2320ق.م. نقلاً عن:
Matthia, P., Ebla and its landscape, p.48.

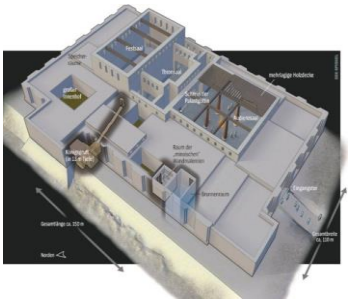

الشكل (10)، قطنا، القصر الملكي. نقلاً عن:
http://terraeantiqvae.com

(ISSN: 2536 - 9555)

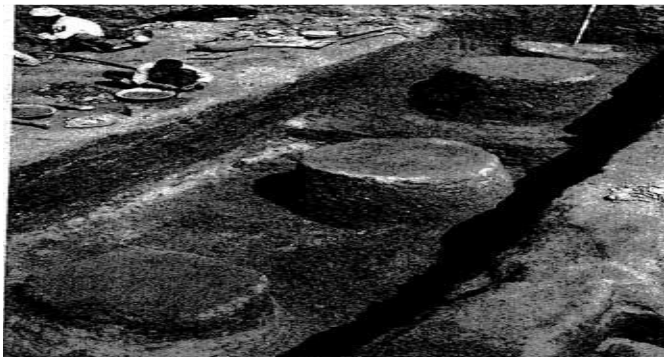

الشكل (11) ألالاخ، صف الأعمدة الطينية، نقلاً عن:
Woolle, L., A Forgotten kingdom, London, 1953, pl.4.

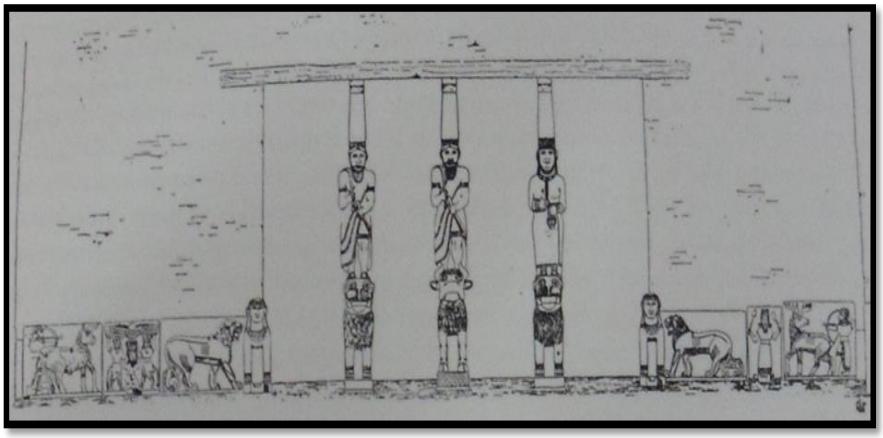

الشكل (12)، جوزانا، تماثيل واجهة القصر الغربي. نقلاً عن:
Oppenheim. M.V,Tell Halaf II, s.55.

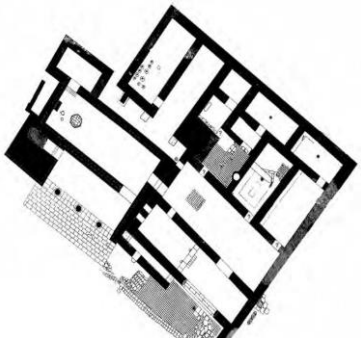

الشكل (13)، شمأل، مخطط المبنى L، K "قصر كلاموا". نقلاً عن:
Gilibert, A., Syro-hittite art, p.81.

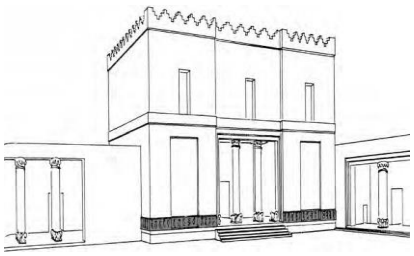

الشكل (14)، شمأل، بيت هيلاني 3. نقلاً عن:
Gilibert, A., Syro-hittite art, p.90.

الشكل (15)، شمأل، قاعدة بازلتية لعمود في
بيت هيلاني3. نقلاً عن:
Gilibert, A., Syro-hittite art, p.216.

الشكل (16)، تل طعينات، قواعد أعمدة المبنى 1. نقلاً عن:
HAINES, R.C., Excavations in the Plain of Antioch, II, Pl.75.

(ISSN: 2536 - 9555)

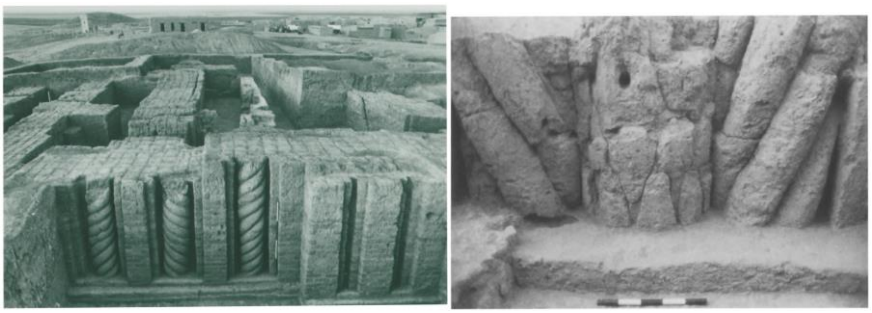

الشكل (17) تل ليلان، الواجهة الشمالية. نقلاً عن:

Weiss, H., Tell Leilan on the Habur Plains of Syria, p.8;13.

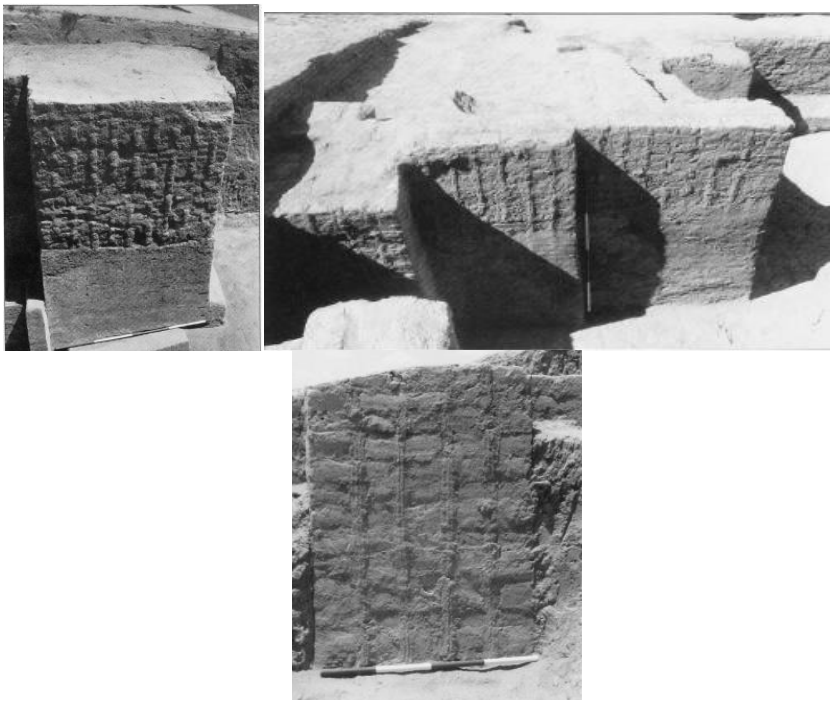

الشكل (18) تل براك، الأعمدة الزخرفية من الطين المزجج في عدد من الجدران بالمنطقة SS. نقلاً عن:

Oates, D., & Oates, J., & McDonald, H., Excavation at Tell Brak, Vol.2, p.79.